الهيمنة العربية في الخليج العربي إبان القرن الثامن عشر[11]

شهد الخليج العربي في مطلع القرن الثامن عشر ازدهار القوى العربية وهيمنتها على حركة الملاحة والتجارة. وجاء صعود هذه القوى على إثر الضعف الذي انتاب الدولة الصفوية بعد تعرضها للغزو الأفغاني ثم العثماني ثم الروسي على التوالي، مما أدى إلى انهيارها بحلول عام 1713م.

وقد تحدثت المصادر الغربية عن هيمنة العرب على الحركة الملاحية في الخليج العربي، إذ وصف الرحالة كارستن نيبور تراجع الوجود الفارسي في الخليج بقوله: "يخطئ بعض الجغرافيين إذا اعتبروا أن جزءاً من السواحل العربية كان خاضعاً لملوك العجم، بل العكس هو الصحيح، فقد ملك العرب المناطق الساحلية في الخليج من نهر الفرات إلى نهر الأندوس بأكمله، وتعتبر المستوطنات في هذه المناطق الكبيرة مستوطنات عربية يستخدم فيها الناس اللغة العربية والتقاليد العربية مثل سكان الجزيرة العربية تماماً، ويقال إن العرب استوطنوا هذه المناطق الساحلية منذ قرون عديدة، وهناك مؤشرات تدل على وجود هذه المستوطنات العربية منذ أيام الملوك الساسانيين، كما يوجد تشابه كبير بين حياة السكان القدماء للمنطقة وحياة العرب المعاصرين".[12]

وعلى الرغم من وقوع الصراعات والاضطرابات فيما بينهم؛ إلا أن العلاقة بين القوى العربية في طرفي الخليج العربي كانت تتسم في أغلب الأوقات بالتماسك الذي ظهرت آثاره في التعاون الذي قام بينهم لمقاومة النفوذ البرتغالي والهولندي وكذلك الفارسي.

ففي عام 1716م توجهت قوات مشتركة من اليعاربة والقواسم للسيطرة على جزيرة قشم لتخليص قبيلة بني معين من التسلط الفارسي، وأسس القواسم فيها محطة تجارية.

وفي عام 1717م كادت أن تقع هرمز في يد تحالف بعض القوى العربية لولا تدخل البرتغاليين الذين هرعوا لمساعدة الفرس بقوة كبيرة لفك الحصار عن هرمز.[13]

وفي محاولة لتدارك ضعف الفرس في مجال القوة البحرية، بذل نادر شاه عام 1735م جهوداً حثيثة لتشييد أسطول بحري جعل من مدينة بوشهر مركزاً له، وأخذ ينقل إليها

---

[11] نشرت هذه الدراسة في: **صحيفة الوطن**، السنة الخامسة، العدد 1584، 12 أبريل 2010. ص 17.

[12] الوثيقة (1983) "الشرق بعيون نيبور، مشاهدات رحالة ألماني عن الشرق منذ أكثر من 200 عام"، **مجلة الوثيقة**، ع3، يوليو 1983، مركز الوثائق التاريخية، البحرين. ص 176.

[13] أحمد أبو حاكمة (1965) **تاريخ شرقي الجزيرة العربية 1750-1800 نشأة وتطور الكويت والبحرين**، ترجمة محمد أمين عبد الله، مكتبة الحياة، بيروت. ص.ص 63-72.

الأخشاب من مازندران في شمال إيران، وكان قوام بحارة أسطوله من الهنود ومن البرتغاليين، ثم عززه ببعض العناصر العربية التي سرعان ما تمردت عليه عندما طلب منها محاربة أشقائها العرب بعمان في أكتوبر 1738م. وعلى إثر ذلك التمرد انضم البحارة العرب في أسطول نادر شاه إلى إخوانهم في عُمان، فقاموا بمهاجمة الفرس في السواحل العربية من الخليج، وحرقوا أغلب سفنهم في جلفار، مما اضطر نادر شاه للجوء إلى الهولنديين الذين أمدوه بقوة حربية هاجمت القواسم في راس الخيمة وخورفكان، ولكن هذه القوات منيت كذلك بالهزيمة واضطرت الحملة الفارسية-الهولندية إلى الانسحاب من قشم إلى ميناء كونك.[14]

إلا أن العرب لم يتمكنوا من المحافظة على وحدتهم وتعاونهم، فدب الخلاف بينهم في منتصف القرن الثامن عشر، وقد وصف نيبور حالة النزاع القوى البحرية العربية بقوله:

"يسيطر الهولة على السواحل من بندر عباس إلى راس بردستان وتملك جميع الموانئ فيها، وتمتد جبال ظهرستان إلى البحر ويتوافر فيها الخشب الذي يقوم الناس بتصديره، وعلى الرغم من هذه الميزات فإن عرب الهولة لا يمارسون الزراعة بل يعيشون على الصيد، وهم من أهل السنة، وقد اشتهروا بالشجاعة لدى جيرانهم، وهم إذا اتحدوا فإن بإمكانهم الاستيلاء على كل المنطقة، لكنهم منقسمون على أنفسهم ويرأس كل مدينة شيخ، ولكن ليس هناك من يستطيع جمع كلمتهم وتوحيد صفوفهم وتنسيق جهودهم، وهكذا يظلون فقراء ضعفاء".[15]

وقد تحدث نيبور في تقريره عن القوى البحرية العربية في الساحل الشرقي للخليج العربي، وتحديداً في: جمبرون (بندر عباس)، وهرمز، ولارستان، وقشم، ومخا، وخرج، ونخيلوه، ونابند، وعسيلوه، وكنكون، وبوشهر، وبندر ريق، وصولاً إلى الحويزة التي كانت تخضع لسيطرة بني كعب.[16]

---

[14] Verenigde Oostindische Compagnie: 2476, File 182.

[15] الوثيقة (1983) "الشرق بعيون نيبور"، **مجلة الوثيقة**، مرجع سابق، ع3. ص 178.

[16] بنو كعب: قبيلة هاجرت من نجد إلى سواحل الخليج العربي في القرن السابع عشر الميلادي، واتخذوا من الدورق مركزاً لسلطتهم الممتدة على الحدود العثمانية-الفارسية، ونافسهم في النفوذ حكام بوشهر من آل بومهير الذين تعود أصولهم إلى عمان، وقد تحالفت معهم قبائل أخرى كبني صعب وخضعوا جميعاً لحكم ناصر آل مذكور شيخ المطاريش.

ووصف القنصل الهولندي نيبهاوزن بوشهر بأنها منطقة عربية، تعود أصول سكانها إلى مناطق شمال مسقط ويسمون البومهير من الساحل الجنوبي للجزيرة العربية، وكان حاكمها هو ناصر آل مذكور المؤسس لميناء بوشهر.[17]

وكان من ضمن القوى العربية في الساحل الشرقي للخليج العربي آل حرم، الذين قدموا من ساحل عمان واستقروا في ميناء عيسلوه، وورد في تقرير نيبهاوزن عام 1756م بأنهم كانوا يملكون أربعين سفينة وثلاثمائة رجل مقاتل وكان حاكمهم في تلك الفترة هو: محمد بن ماجد.[18]

أما في ميناء الطاهرية فقد هيمنت قبيلة النصور،[19] التي كانت تمتلك نحواً من خمسين سفينة وتسعمائة رجل نصفهم يحمل السلاح وفق تقديرات نيبور الذي أضاف بأن شيخهم هو أغنى الهولة على الساحل، وكان يحصل على مبلغ 14 ألف روبية من ضرائب البحرين التي يقدمها نصر آل مذكور شيخ بوشهر حسب الاتفاق بينهما عندما ساعدوه قبل سنوات على احتلال البحرين واستخلاصها من آل حرم.[20]

وفي الضفة المقابلة من الخليج العربي، كان بنو خالد يمثلون أكبر قبائل الساحل الغربي من الخليج العربي؛ إذ امتد سلطانهم من قطر جنوباً حتى الكويت وحدود العراق شمالاً. وكان الخوالد قد استولوا على الأحساء من العثمانيين عام 1670م في عهد حاكمهم براك بن غرير.

وفي ظل الخوالد تشكل حلف العتوب (في غضون الثلث الأخير من القرن السابع عشر)، وتزعمته عشائر من قبيلة عنزة أبرزهم آل الصباح وآل خليفة والجلاهمة. وبحسب تقرير نيبهاوزن عام 1756م؛ فإن قوتهم البحرية كانت تقدر بحوالي 300

---

[17] توفي ناصر آل مذكور عام 1749، وخلفه ابنه نصر الذي توفي عام 1789.

[18] يذكر لوريمر بأن آل حرم يعودون في أصولهم إلى الحجاز، وبأنهم انتقلوا إلى فارس مع أبناء عمومتهم بني تميم في حدود عام 1650. ج.ج لوريمر (1976) **دليل الخليج**، ترجمة مكتب الترجمة بالديوان الأميري، الدوحة. 7/317.

[19] النصور: فخذ من الجبور ينتمون إلى غزية انتقلوا إلى اليعيمية شمال القطيف ومنها إلى بر فارس عن طريق جزيرة الزبارة، وكان من أبرز حكامهم الشيخ جبارة النصوري الذي توفي عام 1187هـ/1773م، وخلفه ابنه خاتم الذي استمر حتى وفاته عام 1201هـ/1786م.

[20] عبد الرزاق محمد صديق (1993) **صهوة الفارس في تاريخ عرب فارس**، مطبعة المعارف، الشارقة. ص.ص 103-105.

سفينة صغير الحجم يستخدمونها للغوص، في حين بلغ تعداد رجالهم المحاربين أربعة آلاف رجل يحملون السلاح.

وبالإضافة إلى العتوب، فقد كان القواسم يشكلون قوة بحرية مهمة، وقد اتخذوا من ميناء صور (راس الخيمة)، مركزاً لسلطتهم، وقد وصف تقرير نيبهاوزن شيخهم رحمة بن مطر، بأنه: "أقوى شيوخ المنطقة، وله أتباع عددهم 400 مقاتل مسلحين بالبنادق، ولديه 60 سفينة من الحجم الكبير".[21]

أما في عُمان فقد كانت دولة اليعاربة تشهد مرحلة اضطرابات داخلية بلغت ذروتها في عهد الإمام سيف بن سلطان الذي استعان بالفرس للقضاء على خصمه سلطان بن مرشد، ففتح بذلك المجال للتغلغل الفارسي في عهد نادر شاه.

وعلى إثر مقتل سلطان بن مرشد ظهر أحمد بن سعيد الذي تولى إدارة صحار في عهد الإمام سيف، وقد نجح أحمد هذا بالتحالف مع القوى العربية الأخرى في تطهير عمان من الهيمنة الفارسية بحلول عام 1744م، مؤسساً بذلك أسرته الحاكمة: أسرة البوسعيد، واستمر أحمد بن سعيد في الحكم حتى وفاته في 15 ديسمبر 1783م.[22]

والحقيقة هي أن المصادر التاريخية في التاريخ القديم والوسيط والحديث تتضافر لتأكيد حقيقة مفادها أن الخليج العربي بشقيه: الشرقي والغربي قد خضع لهيمنة القوى العربية، التي بسطت نفوذها السياسي وسيطرت على حركة الملاحة والنقل البحري، في حين لم يفلح الفرس في تكوين قوة بحرية تمكنهم من تحقيق طموحاتهم التوسعية في مياه الخليج العربي.

---

[21] امتدت سلطة القواسم لتشمل المنطقة ما بين جمبرون وراس بردستان على ساحل الخليج العربي، وكانوا في السابق يخضعون لحكم اليعاربة بعمان، وكان إمام عمان اعترف لسلطتهم المستقلة في راس الخيمة ابتداء من عام 1762. أحمد مصطفى أبو حاكمة (1970) **تاريخ الكويت**، الجزء الأول، القسم الأول، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ص 68-70.

[22] راشد أبو زيد ووداد النابودة (1998) **تاريخ الخليج العربي**، دبي. ص.ص175-176.